

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستبشارُ والأملُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَجَّهَ آمَالَ الْعِبَادِ، إِلَى التَّطَلُّعِ لِبُلُوغِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْمَعَادِ، وَتَدَبُّهُمُ إِلَى التَّرَوُّدِ مِنْ خَيْرِ زَادٍ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا يَسْتَوْفِيهَا الْحَصْرُ وَلَا التَّعْدَادُ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْنَا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ وَالْأَمَادِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْبَرُّ الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ الْجَوَادُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، دَعَا الْعِبَادَ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَحَدَّرَهُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَمْجَادِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ سُرْعَةَ انْقِضَاءِ الْأَعْمَارِ، وَدَوْرَانَ عَجَلَةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَنْبَغِي أَنْ تَنْبَهَ الْمُسْلِمَ عَلَى ضَرُورَةِ الْإِسْرَاعِ فِي تَطْوِيرِ نَفْسِهِ إِلَى أَفْضَلِ الْأَحْوَالِ، وَكَفِّهَا عَنِ التَّفْرِيطِ فِي الْأَوْقَاتِ، وَحَثِّهَا عَلَى الاستِعْدَادِ لِمَا هُوَ آتٍ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ لَا تَكُونُ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ؛ إِذْ يَطْرَأُ عَلَيْهَا السَّهْوُ وَالنَّسْيَانُ وَالْغَفْلَةُ، وَالضَّعْفُ وَالْعَجْزُ وَعَدَمُ الْمَقْدِرَةِ، وَلَرُبَّمَا غَلَبَ التَّشَاؤُمُ وَعَزَّ عَلَيْهَا التَّقَاؤُلُ، فَمِنْ هُنَا احتَاجَتْ إِلَى الإِصْلَاحِ وَالتَّرْكِيحِ، وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّهْذِيبِ وَالتَّنْمِيَةِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِسْرَاعِ فِي إِنْفَازِ مِنْهَاجِ التَّجْدِيدِ، وَلَا سِيَّمَا وَنَحْنُ نَسْتَقْبِلُ الْعَامَ الْهَجْرِيَّ الْجَدِيدَ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَقْبِلُ الْحَيَاةَ بِأَمَلٍ بِاسْمِ، وَرَجَاءٍ فِي عَطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَثِيقٍ، يَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(١)، فَيَشْعُرُ كَأَنَّهَا الْخِطَابُ الْإِلَهِيُّ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهِ كَمَا تَوَجَّهَ لِلْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَبْلَهُ، فَبِمِثْلِ مَا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ قَلْبَهُ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ، وَأَزَاحَ عَنْهُ هُمُومَهُ، وَنَفَسَ عَنْهُ كُرُوبَهُ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَادِرٌ

(١) سورة الضحى/ ٥ .

عَلَى أَنْ يَفْتَحَ جَمِيعَ الْأَبْوَابِ الْمُغْلَقَةِ لِكُلِّ مَنْ أَمَلَ فِيهِ وَعَلَّقَ بِهِ الرَّجَاءَ الْحَسَنَ، وَهُوَ قَدِيرٌ عَلَى أَنْ يُبَسِّرَ لَهُ مَا عَسَرَ، وَيُسَهِّلَ لَهُ مَا صَعَبَ، وَيُدْنِي مِنْهُ مَا بَعُدَ، وَحَسْبُهُ أَنْ يَتْلُوَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ، أَلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ، فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(١)، فَيَسْتَقْبِلُ الْحَيَاةَ بِاسْمِ الثَّغْرِ، طَلَقَ الْمُحْيَا، مُتَقَانِلًا بِالْخَيْرِ حَيْثُمَا حَلَّ وَأَيْنَمَا ارْتَحَلَ، مُتَطَلِّعًا إِلَى نَيْلِ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى الْوَاسِعِ، وَالْحُصُولِ عَلَى ثَوَابِهِ الْمُعَجَّلِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يَتْلُوهُ مِنْ عَطَاءٍ جَزِيلٍ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

بِمَثَلِ هَذَا الْأَمَلِ يُوَاجِهُ الْمُسْلِمُ حَيَاتَهُ؛ فَلَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مَعْنَى لِلدَّعَةِ وَالْكَسَلِ، بَلْ يَجِدُ حُبًّا لِلذُّبْلِ وَالْعَطَاءِ وَالْعَمَلِ، يَكْدُحُ لِيَرْضِيَ رَبَّهُ، وَيَعْمَلُ حَتَّى لَا يُسْخِطَ خَالِقَهُ بِإِهْمَالِهِ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ، يَنْتَمِعُ بِأَمَلٍ مَحْمُودٍ يَحْدُوهُ عَلَى فِعْلِ كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى إِنْتَانِ كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَالِابْتِعَادِ عَنِ أَيِّ رَذِيلَةٍ، وَيَعْلَمُهُ الدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ كَيْفَ يَمَلَأُ قَلْبَهُ بِالْأَمَلِ الْمَحْمُودِ، فَلَا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسُؤَالِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَخَيْرَ الْآخِرَةِ، حَتَّى يَنْطِقَ بِفَضْلِ ذَلِكَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ، وَيُصْرِّحُ بِهِ قَائِلًا: ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُومِ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾^(٢)، فَالدُّعَاءُ الَّذِي هُوَ مُخُّ الْعِبَادَةِ، يَبْعَثُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الْأَمَلَ الْمَحْمُودَ، وَإِلَّا فَمَا مَعْنَى تِلْكَ الْأَدْعِيَةِ الْكَثِيرَةِ الْوَارِدَةِ عَنِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ مِثْلَ قَوْلِهِ: ((وَأَجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ))، وَقَوْلِهِ: ((وَأَجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ))، وَقَوْلِهِ: ((وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُورَانَا أَبَدًا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْ ذَلِكَ الْوَارِثَ مِنَّا))، فَمِثْلُ هَذِهِ الْأَدْعِيَةِ تَمَلَأُ الْقُلُوبَ بِأَمَلٍ مَحْمُودٍ، يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَتَجْعَلُ الْقَلْبَ يَتَعَلَّقُ بِالْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ الْمَمْلُوءَةِ بِالطَّاعَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ. أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

هُمَا أَمَلَانِ يَعْشِشُ بِهِمَا النَّاسُ، أَحَدُهُمَا مَذْمُومٌ وَالْآخَرُ مَحْمُودٌ، يُشِيرُ إِلَيْهِمَا الْقُرْآنُ

(١) سورة الشرح / ٦-١ .

(٢) سورة الطور / ٢٧-٢٨ .

الكَرِيمُ بِقَوْلِهِ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)، ففي هذه الآية مقارنةً واضحةً ما بين أملٍ طالحٍ مذمومٍ، وآخرٍ صالحٍ محمودٍ، فالْمُؤْمِنُ مَوْقِنٌ بَعْدَمِ الْخُلُودِ فِي الدُّنْيَا وَأَنَّهَا إِلَى زَوَالٍ؛ فَحَالُهُ الْاسْتِعْدَادُ لِدَارِ الْمَعَادِ وَالْمَالِ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا بِالْعِمَارَةِ وَالْبِنَاءِ وَالغَرْسِ وَالتَّشْيِيدِ، لِأَنَّ هَذَا إِنَّمَا هُوَ اسْتِجَابَةٌ لِدَاعِيِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ إِلَى الْعَمَلِ، وَطَلَبٌ لِثَوَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فِي ظِلِّ أَمَلٍ مَّحْمُودٍ، وَرَجَاءٍ مُّبَاحٍ، لَا غَضَاضَةَ فِيهِ عَلَى صَاحِبِهِ وَلَا جُنَاحَ، جَاءَ فِي السُّنَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ: ((إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا))، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ كَافِيَةٌ عَلَى فَضْلِ الْأَمَلِ الْبَاعِثِ عَلَى الْعَمَلِ النَّافِعِ، فَغَرْسُ الْفَسِيلَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَيْسَ إِلَّا اسْتِجَابَةٌ لِأَمَلٍ أُخْرَوِيٍّ مَّحْمُودٍ، أَمَّا مَا يَعْيشُ عَلَيْهِ غَيْرُ أَهْلِ الْإِيمَانِ مِنَ الْأَمَالِ، فَإِنَّمَا يَتَوَجَّهُونَ بِهَا إِلَى الرَّحْمَنِ عِنْدَ النَّوْازِلِ فَحَسْبُ، وَيَتَجَاهَلُونَ حَالَ رَغَدِ الْعَيْشِ وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ، وَقَدْ عَبَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ حَالِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَسْعَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوِسُ قَنُوطًا، وَلَكِنْ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضِرَاءٍ مَّسَّتَهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ، وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾^(٢)، وَلَوْ لَا أَمَلٌ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ يَعْيشُ بِهِ الْمُسْلِمُ فِي هَذِهِ الْبَسِيطَةِ لَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ، وَهَذَا يَعْقُوبُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُعَلِّمُنَا بِصَبْرِهِ الطَّوِيلِ عَلَى فَقْدَانِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَيْفَ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالْأَمَلِ الْجَمِيلِ، فَبَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنَ الْفِرَاقِ الطَّوِيلِ نَجَدَهُ يُوصِي بَنِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)، بَلْ نَجِدُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُعَلِّمُ الْمُسْلِمِينَ فِي ضِمْنِ مَا يُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهُ مِنَ الدُّعَاءِ أَنْ يَقُولُوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي

(١) سورة البقرة / ٢٦٨ .

(٢) سورة فصلت / ٤٩-٥١ .

(٣) سورة يوسف / ٨٧ .

الْآخِرَةَ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١﴾، لِيَجْمَعُوا بَيْنَ أَمَلَيْنِ مَحْمُودَيْنِ، أَحَدُهُمَا يُعْمَرُ بِهِ الدُّنْيَا، وَالْآخِرُ يُعْمَرُ بِهِ الْآخِرَةُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

مِثْلَ مَا كَانَ الْأَمَلُ الْمَحْمُودُ مُتَوَعًّا إِلَى نَوْعَيْنِ؛ فَإِنَّ الْأَمَلَ الْمَذْمُومَ كَذَلِكَ؛ مِنْهُ مَا يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الشُّرُورِ وَالْمَفَاسِدِ وَالْمَهَالِكِ، وَمِنْهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ شَاغِلٌ، فَمِنَ الْأَمَلِ الْمُفْضِي إِلَى الشَّرِّ مَا حَمَلَ صَاحِبُهُ عَلَى نِسْيَانِ حَقِّ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، حَتَّى أَهْمَلَ الْأَخْذَ بِأَسْبَابِ السَّعَادَةِ، وَفِي أَمْثَالِهِمْ يَقُولُ الْحَقُّ تَعَالَى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلُ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٢)، وَمِنْهُمْ مَنْ زَيَّنَتْ لَهُمْ أَمَانِيَّتُهُمْ بِأَنَّهُمْ سَيَدْفَعُونَ عَذَابَ اللَّهِ بِالْمَالِ وَالْوَالِدِ، ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٣)، وَعَلَى مَنُورِهِمْ مَشَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ عَذَابَ اللَّهِ إِنْ وَقَعَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ مَعْدُودَةٌ، وَإِلَى أَمَدٍ مَوْقُوتٍ، يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَكْفُرُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤)، فَهَذِهِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ وَالْأَمَالِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي عَرَضَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ؛ لِيَعْتَبَرَ بِهَا الْمُسْلِمُ وَبِأَمْثَالِهَا، حَتَّى لَا يَقَعَ فَرِيْسَةَ الْأَمَلِ الْمَذْمُومِ، يَقُولُ الْحَقُّ تَعَالَى مُعَقِّبًا عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَمَالِ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ ۖ وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٥).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ، وَأَمَّلُوا فِي اللَّهِ تَعَالَى مَا يَسْرُكُمْ، وَتَّقُوا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ إِذَا مَا التَّزَمْتُمْ أَوْامِرَهُ، وَأَدَيْتُمْ شَعَائِرَهُ، وَقُمْتُمْ بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقُومُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ.

(١) سورة البقرة / ٢٠١ .

(٢) سورة الحجر / ٣ .

(٣) سورة سبأ / ٣٥ .

(٤) سورة البقرة / ٨٠ .

(٥) سورة النساء / ١٢٣ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ
يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَدَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَجَعَلَ آمَالَهُمْ مُعَلَّقَةً بِمَا أَعَدَّ
لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ، وَنَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَنَشَهُدُ أَنَّ نَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْأَمِينُ، سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَإِمَامُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

مَنْ ابْتَلِيَ بِأَمَلٍ يُفْضِي بِهِ إِلَى الشَّرِّ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يُعَالِجَ نَفْسَهُ بِتَصْحِيحِ الْمُعْتَقَدِ، وَإِصْلَاحِ
الْقَصْدِ، وَتَجْرِيدِ النِّيَّاتِ، فَإِنَّ تَصْحِيحَ التَّصَوُّرِ حَوْلَ سِرِّ الْحَيَاةِ، وَسَبَبِ الْوُجُودِ، وَخَالِقِ
الْكَائِنَاتِ، أَسَاسُ إِصْلَاحِ الْأَمَالِ، وَمُرْتَكِزُ صِلَاحِ الْأَعْمَالِ، أَمَّا مَنْ ابْتَلِيَ بِتَطْوِيلِ الْأَمَالِ؛
فَعَلَيْهِ أَنْ يَعُودَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، غَيْرَ يَأْسٍ وَلَا قَانِطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ جَلَّ وَعَلَا، فَقَدْ ذَكَرَ الْحَقُّ
تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ حَالَ مَنْ غَرَّتْهُ الْأَمَانِيُّ، وَحَالَ مَنْ قَسَا قَلْبُهُ بِطُولِ الْأَمَلِ، ثُمَّ بَيَّنَّ
سُبْحَانَهُ أَنَّ رَحْمَتَهُ قَدْ تَشْمَلُهُمْ، فَإِذَا بِقُلُوبِهِمْ تَلِينَ مِنْ بَعْدِ قَسَوْتِهَا، وَإِذَا بِهِمْ يُفِيقُونَ مِنْ
رَقَدَتِهِمْ، وَيَنْتَبَهُونَ مِنْ غَفْلَتِهِمْ، وَمَثَلٌ لِعُودَةِ الْحَيَاةِ إِلَى قُلُوبِ هَؤُلَاءِ بَعُودَةُ الْحَيَاةِ إِلَى
الْأَرْضِ الْيَابِسَةِ الْهَامِدَةِ مِنْ بَعْدِ نَزُولِ الْمَطْرِ عَلَيْهَا، يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنسِفُونَ، أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ﴾^(١)، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْعُودَةَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا بُدَّ لِتَحَقُّقِهَا مِنْ اتِّخَاذِ
تَدَابِيرٍ وَوَسَائِلٍ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ تَذَكُّرِ الْمَوْتِ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِمَوَاقِفِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالتَّيَقُّنِ بِأَنَّ الدُّنْيَا
إِلَى فَنَاءٍ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ سِوَى مَعْبَرٍ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، مَعَ التَّيَقُّظِ لِسُرْعَةِ الزَّمَنِ، وَتَغْيِيرِ
الْحَوَادِثِ، وَالنَّظَرِ فِي سِيرَةِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَبِذَلِكَ يَأْتِي التَّغْيِيرُ إِلَى الْأَفْضَلِ، وَإِلَى

الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ إِنْ شَاءَ الرَّبُّ الْأَكْرَمُ، فَإِذَا بِالْقُلُوبِ الْهَامِدَةِ تَحِيًّا بَعْدَ مَوَاتِهَا، وَإِذَا بِهَا تَعَلَّقُ رَجَاءَهَا بِخَالِقِهَا، وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ سِوَاهُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

أَمَامَ تَعَاقِبِ الْأَيَّامِ، وَتَوَالِي الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، وَبَعْدَ أَنْ وَدَعْنَا عَامًا وَاسْتَقْبَلْنَا عَامًا آخَرَ؛ فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى إِذْ أَبْقَى فِي أَجْسَادِنَا أَرْوَاحَهَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ الشُّكْرُ إِلَّا بِتَوْطِيدِ النُّفُوسِ عَلَى إِتْيَانِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيمَا بَقِيَ لَنَا مِنَ السَّاعَاتِ وَالْأَيَّامِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمْ الَّذِينَ يَصِفُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١).

فَانْتَقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاسْتَقْبِلُوا أَيَّامَكُمْ بِالِاسْتِبْشَارِ وَالْأَمَلِ، فَفِي ذَلِكَ مَا يَشْحَذُ عَزَائِمَكُمْ وَيُدْفَعُكُمْ إِلَى الْعَمَلِ، وَأَصْلِحُوا نِيَّاتِكُمْ، وَعَلِّقُوا آمَالَكُمْ بِمَنْ لَا تَخِيبُ فِيهِ الْأَمَالَ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُتَعَالِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ

(١) سورة المؤمنون / ١-١١ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَافَ وَالعَنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ

سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَابْتَغَى لِعِظْمِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.